آراء وافكار

تعاليق رحلة العطار

من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة رحلة صغيرة يُؤخذ من بعض ما فيها انها لرجل دمشقي شد رحاله من بيت المقدس الى القسطنطينية عاصمة المملكة العثمانية اذ ذاك في ٢ صفر سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م فهبط مدينة الرملة ثم ثغر يافا ومنه أقلع بسفينة شراعية الى عكا ثم استأنف السفر بطريق البر الى صيدا ومنها أقلع الى ميناء طرابلس الشام وسافر منها مجتازاً بجبلة وغيرها من الشواطئ بسفينة كانت تقل اثقال كرجي محمد باشا والي صيدا واتباعه حين وجهت له الدولة العلية منصب ولاية قونية وكان امرهم ان يخرجوا من محل اسمه قراطاش[1] وان يتوجهوا منه الى آذنة و ينتظروه بها فكان معهم في الحل والترحال الى ان وافوا آذنة ومنها سافر بصحبة قافلة امين الصرة الذي كان يرافق ركب الحج الشامي في سنة ١١٧٨ هـ ١٧٦٤ م الى العاصمة بطريق البر حتى وصل اليها بعد ان اجتاز بمدينة قونية وغيرها وكان وصوله الى القسطنطينية في غرة شهر ربيع الاول سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م .

« التعريف بصاحب الرحلة »

يظهر من هذه الرحلة التي بخط كاتبها والتي لم تكتب بقصد الافادة انها من نوع

---

(١) في قاموس الاعلام لشمس الدين سامي الالباني جزء ٥ صفحة ٣٦٣٤ ماتعريبه : قراطاش رأس في ساحل ولاية آذنة غربي مدخل خليج اسكندرون بين جدولي نهر جيحان عند مصبه في البحر والمظنون انه كان قبلاً جزيرة فاتصلت بالبابسة بما جرفه اليها مجرى النهر من الأتربة والحجارة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المفكرات التي تدوّن باختصار دون بحث واستقصاء ولم نعلم اسم كاتبها الا اننا استدللنا ببيت من الشعر له قال فيه انه الشامي العطار وعلمنا من حديثه انه كان في دمشق يحترف التجارة وانه جاء بيت المقدس مرة بعد أخرى لهذا الغرض . وفهمنا من تعليق له في بعض صحف الرحلة انه حفيد او سبط السيد الشيخ محمد العطار المتوفى في شعبان سنة ١١٧٦ هـ ١٧٦٢ م ولكننا لم نعدم وسيلة للتعرف اليه مما كتبه بنفسه . فقد ذكر لنا في أواخر رحلته اسم الشيخ عبدالوهاب خادم الشيخ عبدالغني النابلسي الذي كان يقيم في مدرسة چورلبلي علي باشا[1] وقد ترجم السيد محمد خليل المرادي المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م للشيخ عبد الوهاب هذا وقال ان ابناء دمشق كانوا يجتمعون عنده على مذاكرة ومداعبة وجاء في سياق ذلك على ذكر الفاضل الاديب السيد محمد العطار الدمشقي بمناسبة لغز كتبه هذا وارسله الى الشيخ ابراهيم الحلبي[2] فأجابه عبد الوهاب بقصيدة جاء فيها :

(ولا عجب اذ أنت في الفضل سيدٌ كجدّك ذي التحقيق في الشرق والغرب)
(أتيت بلاد الروم ضيفاً وطارقاً من الشام من ارض مقدسة الترب)

وقد نقلنا عبارة الكاتب الذي لا نشك بعد هذا في انه محمد العطار في آخر هذا البحث لعلاقته في الموضوع .

ولم يذكر السيد محمد العطار جدّ الكاتب بين تراجم المرادي بل ان الذي ترجم

---

(١) علي باشا الچورلبلي من الوزراء الذين ارتقوا مسند الصدارة في القرن الثاني عشر وبعد احرازها صاهر السلطان مصطفى فتزوج من ابنته سنة ١١١٨ هـ ١٧٠٦ م وبعد ان ظل فيها اربع سنين يدير امور الدولة على أحسن ما يكون وشى به بعض من لاخلاق لهم فأقيل وأمر بالخروج الى جزيرة مدللي «متلين» من جزائر البحر المتوسط وقُتل عند قدومه اليها وله في القسطنطينية عدة جوامع ومدارس ومعاهد ودور كتب وغيرها من الخيرات والمبرات الخالدة وترجمته في قاموس الاعلام جزء ٣ صفحة ١٨٨٦ .

(٢) ترجمته في سلك الدرر « ج ١ ص ٣٧ » وفيها انه توفي سنة ١١٩٠ هـ ١٧٧٦ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

له وذكره في كتاب سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر هو الشيخ محمد بن عبيد ابن عبد الله بن عسكر القاري الاصل الدمشقي الشهير بالعطار المتوفى سنة ١١٥٧ هـ ١٧٤٤ م [١] .

وقد قصد الكاتب الى عاصمة الملك ليرفع عقيرته بالشكوى على قاضي بيت المقدس الذي لم ينصفه على شريكه النابلسي الذي لم يذكر اسمه ايضاً بل مالأه عليه ولم يصل بنا في رحلته الى ما تم معه لانه وقف فيها في العاصمة او ان بعض اوراقها سقطت فسقطت معها اخباره .

والذي اهمنا من امر الرحلة هو بعض ما فيها من التعاليق التاريخية التي قد تفيد معرفتها فنقلناها فيما يلي :

(١) انتقل الى رحمة الله تعالى السيد الشيخ محمد العطار جد الفقير في ٣ شعبان سنة ١١٧٦ [٢] .

(٢) في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٠٨ [٣] حضر عندي من اخبرني ان من البدع التي حدثت في هذه الايام انه صار على كل مولود ذكر يولد خمسين فضة وعلى البنت خمسين وانه صار على الجاموس على كل رأس عشرة قروش في السنة وعلى البقر خمسة قروش تؤخذ في كل سنة .

(٣) تاريخ وفاة علامة زمانه وزاهدهم الملا الياس . ومات الياس التقي الزاهد وفي ثبت شيخنا المنيني ان وفاته كانت بعد صلاة عصر الاربعاء لاربع عشرة ليلة بقين من شعبان سنة ١١٣٨ [٤] .

(٤) وفاة شيخنا بل شيخ الدنيا سيدي عبد الغني في اواخر شعبان سنة ١١٤٣ هـ

---

(١) سلك الدرر جزء ٤ صفحة ٦١ . (٢) سنة ١١٧٦ هـ يقابلها سنة ١٧٦٣ م .
(٣) سنة ١٢٠٨ هـ يقابلها سنة ١٧٩٤ م . (٤) لعله الياس بن ابراهيم بن داود بن خضر الكردي نزيل دمشق الذي ترجم له المرادي في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر « ج ١ ص ٢٧٢ » وقال انه توفي ليلة الثلاثاء في ١٦ شعبان سنة ١١٣٨ هـ ١٧٢٦ م وقد قارب المئة او جاوزها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن ثلاث وتسعين سنة قدس سره ولشيخنا ومحبنا عبد الرحمن الشهير بالبهلول التركماني وكان حضرة الشيخ سماه قيم الأبد قصيدة طويلة في رثاء الشيخ ارّخ فيها وفاته بتاريخين في بيت وهو :

(قد أصبنا بشمس هدى التجلّي أوحد القوم قطب هذا الزمان[1])

(٥) توفي الشيخ عبد الرحمن المجلد سنة ١١٤٤ عن اكثر من مئة سنة ودفن بمرج الدحداح[2] .

(٦) الشيخ محمد الخليلي دخل دمشق عام ١١٢٩ ومات في بيت المقدس ودفن لصيق داره في المدرسة القايتبكية من خارجها وهي لصيق الحرم سنة ١١٤٨[3]

(١) تُرجم للشيخ عبد الغني النابلسي في سلك الدرر « ج ٣ ص ٣٠ » وذكر بان وفاته كانت عصر يوم الأحد في ٢٤ شعبان سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣١ م . اما عبدالرحمن البهلول ولم نجد في نسبته التركماني بل قيل النحلاوي فقد توفي سنة ١١٦٣ هـ ١٧٥٠ م على ما ذكره المرادي في سلك الدرر « ج ٢ ص ٣١٠ » وقال ان له قصيدة في مدح الشيخ عبد الغني مؤلفة من تسعة وثمانين بيتاً احتوى كل بيت منها على تاريخين وذلك سنة ١١٣٦ هـ ١٧٢٣ م . (٢) تُرجم له في سلك الدرر « ج ٢ ص ٣٢٧ » وذكرت وفاته ليلة الجمعة ٢٤ جمادي الآخرة سنة ١١٤٠ هـ ١٧٢٨ م وبين التاريخين فرق كبير قدره اربع سنوات فلعلها سقطت من السلك اثناء النسخ او الطبع . (٣) ترجم له المرادي « ج ٤ ص ٩٥ » وقال ان وفاته كانت سنة ١١٤٧ هـ ١٧٣٤ م ودفن في المدرسة البلدية قلنا وهذه المدرسة كان أنشأها نائب السلطنة بالمملكة الحلبية منكلي بغا وهي اليوم دار لآل الخليلي وفيها مكتبتهم وتقع شمالي المدرسة الاشرفية التي بناها السلطان الملك الاشرف قايتباي التي يكتبها بعضهم وقليل ماهم قايت بك او قايد بك وقد رأيت ان صاحب التعاليق كتبها القائتبكية . اما مكتبة آل الخليلي ففيها الكتب الخطية النادرة وقد كان احد رجالاتهم بنى لها غرفة خاصة بجوار قبة الصخرة قبل اربعين عاماً لينقلها اليها و يقفها على طلاب العلم ففاجأته المنية قبل اتمام العمل فبقيت المكتبة مكانها لئلا كلها الرطوبة وتقرضها الارضة كأكثر خزائن الكتب الخاصة في هذا الشرق التعس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« وعام ١١٢٩ هـ يقابله ١٧١٦ م و١١٤٨ هـ يقابله ١٧٣٥ م » .

(٧) وفاة سيدي عبد الله بن سالم البصري شيخ شيوخنا بمكة عام ١١٣٤ [١] « يقابله عام ١٧٢١ م » .

(٨) وفاة شيخ شيوخنا احمد النخلي قدس سره بمكة سنة ١١٣٠ عن نحو تسعين سنة وهو احمد بن محمد بن احمد بن علي [٢] « وسنة ١١٣٠ هـ يقابلها سنة ١٧١٧ م » .

(٩) وفاة شيخنا صاحب المواهب الجزيلة سيدي محمد بن احمد بن سعيد عقيلة بمكة سنة ١١٥٠ [٣] « يقابلها سنة ١٧٣٧ م » .

وجاء في اصل الرحلة — وهو ما اشرنا اليه في اول الكلام لاثبات ان الرحلة لمحمد العطار الدمشقي — وصف لزلزال القسطنطينية الذي حدث في ١٣ ذي الحجة « لعله في سنة ١١٧٩ المذكورة » في الساعة العاشرة والدقيقة عشرين بعد طلوع الشمس و يقول عنه انه كان عظيماً ومخوفاً وشديداً « قال و كنت تلك الليلة عند اخينا الشيخ محمد جار الله زاده في خان تجاه خان الوالدة فخرجنا جميعاً من الغرفة وخرج الناس من اماكنهم يستغيثون الى ان سكنت فتوجهت انا واياه ومعنا الشيخ خليل الضرير التر ياقي فحالما صرنا في السوق رأينا الهدم والخراب شيئاً يعسر معه الذهاب فتذكرنا اخينا الشيخ عبد الوهاب في مدرسة علي باشا [٤] فسرنا اليه واذنا للشيخ خليل بالرجوع فلما وصلنا المدرسة رأينا قد هدم اكثرها وسقط من أبنيتها على أناس فماتوا بها فدخلنا الى الشيخ عبد الوهاب فرأيناه في الغرفة ماقيّ وقد كان خرج ليفرّ فسقط عليه بعض الهدم فكسر رجله وهو في حالة شديدة فحملناه لرجل وحمل رجل آخر متاعه واخذناه الى غرفة الشيخ خليل التر ياقي ثم مرنا ننظر ما حصل من

(١) لم يترجم المرادي له في سلك الدرر بل ذكره في ترجمة عيد النمرمي « ج٣ ص ٢٧٣ » وفي ترجمة ابراهيم بن مصطفى الحلبي « ج ١ ص٣٨ » ولم يعين تاريخ وفاته

(٢) ترجم له المرادي وقال انه توفي اوائل السنة المذكورة « ج ١ ص ١٧١ » .

(٣) ترجم له المرادي في سلك الدرر « ج ٤ ص ٣٠ » .

(٤) هي مدرسة چورليلي علي باشا التي مر ذكرها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الهدم فوجدناه كثيراً لا يمكن حصره وحاصله ان اكثر ابنية اسلامبول التي بنيت من الحجر سقطت مع سقوط أبنية قليلة من الخشب واما المنارات فقد سقطت الا القليل منها ثم صارت الزلزلة تتكرر ساعة بعد أخرى ويوماً بعد يوم ولكن امرها يتلطف حتى صارت في كل عشرة ايام مرة وربما لا تدرك فأمن الناس وجلسوا في اماكنهم الى نهار الثلاثاء ٢٨ صفر في الساعة الخامسة فحصلت زلزلة أخرى بمقدار الاولى زماناً ولكنها أخف حركة فسقط كذلك بها أبنية كثيرة وسقط اكثر ما كان بني من هدم الاولى وصار بها هلاك كثير ثم بعد ايام يسيرة وردت الأخبار من جهات ارض الروم بهدم وخسف كثير حتى سمعنا ان في بعض الأماكن ارتجت الارض وخسفت باهلها وخرج محلها ماء اسود منتن وصارت الزلزلة تتكرر كثيراً في كل يوم وليلة حتى انه كان ليلة الاثنين اثنا عشر شهر ربيع الاول وكان من عادة آل عثمان ان يصنعوا مولداً للنبي صلى الله عليه وسلم في جامع السلطان احمد فشاع ان في نهار الاثنين يحصل زلزلة عظيمة فأخروا المولد الى نهار الثلاثاء وعملوه في جامع الوالدة برأي شيخ الاسلام ولم يحصل بحمد الله نهار الاثنين شيء ثم في ساعة اجتماعهم نهار الثلاثاء في الجامع حصل حركة خفيفة لم يدركها اكثر الناس » .

وممن اجتمع بهم وذكرهم في رحلته الحاج عبد اللطيف نقيب الاشراف [١] وبدرالدين بن جماعة مفتي الديار القدسية ورئيس خطبائها وامام الصخرة [٢] واحمد ابن احمد الموقت [٣] والشيخ محمد التافلاتي [٤] في بيت المقدس والشيخ محيي الدين

(١) هو عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد القادر الحنفي القدمي وترجمته في سلك الدرر « ج٣ ص ١٣٢ » وفيها انه توفي سنة ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م .

(٢) هو بدرالدين بن محمد بن بدرالدين بن جماعة الكناني الحنفي القدمي وترجمته في السلك « ج٢ ص ٢ » وتوفي سنة ١١٨٧ هـ ١٧٧٣ م . (٣) جاء في ترجمة والده احمد في السلك « ج ١ ص ١٧٥ » ان ابنه هذا كان من اعيان القدس وتوفي سنة ١١٨٦ هـ . (٤) هو محمد بن محمد الطيب المالكي الحنفي التافلاتي المغربي مفتي القدس وترجمته في السلك « ج٤ ص ١٠٢ » وتوفي سنة ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخيري مفتي الرملة [١] والحاج مصطفى النجار من أجواد التجار ببافا [٢] والشيخ ضاهر العمر الزيداني شيخ عكا [٣] والشيخ صادق المفتي بعكا [٤] والشيخ عبدالمحسن السعدي الدمشقي في صيدا [٥] والسيد عبدالقادر نقيب الاشراف في طرابلس الشام [٦] وحسين افندي مفتي آذنة [٧] والسيد عبداللطيف [٨] وبدر علي اغا [٩] والسيد حسين القواس الدمشقي [١٠] والشيخ عبد الوهاب خادم الشيخ عبد للغني النابلسي بمدرسة الشورلي

(١و٢) لم يترجم لهما المرادي ولعل وفاتهما تأخرت عن القرن الثاني عشر .

(٣) ترجم له المرادي في السلك وسماه عمر بن صالح الملقب بالظاهر ج٣ ص١٨٤ وقال بوفاته سنة ١١٩٠ هـ ١٧٧٦ م وفي هذه التسمية خطأ فان اسمه ضاهر بن عمر الزيداني وان كان اكثر المؤرخين على انه ظاهر بن عمر وكذلك ذكر في حجة شرعية صادرة من محكمة عكا بتاريخ ١٣ جمادى الاولى سنة ١١٧٣ هـ ١٧٦٠ م وبذيلها « وشهد الشيخ ظاهر بن عمر » . ولكن الرجل نفسه كان يوقع على كتبه بخط يده «ضاهر عمر» وفي دير الكرمل بحيفا كتاب منه أرسله الى رئيسه بتاريخ ٥ ربيع اول سنة ١١٨١ هـ ١٧٦٧ م وقع عليه كذلك . وفي مجموعة منسوبة الى ميخائيل الصباغ المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ ١٨١٦ م — وهو حفيد ابراهيم الصباغ طبيب الضاهر ومستشاره الذي اورده مورد الهلاك — موجودة في خزانة كتب أسقفية الروم الكاثوليك في عكا ذكر اسمه الضاهر اما صالح الذي اعتبره المرادي والد الضاهر فهو احد اولاده .

(٤) لعله صادق بن مصطفى بن عبدالمحسن بن احمد بن محمد بن بطحيش الحنفي العكي مفتي عكا المترجم له في السلك ج٢ ص١٩٢ وفيها انه توفي سنة ١١٨٠ هـ ١٧٦٦ م .

(٥و٦و٧) لم يترجم المرادي في السلك لهؤلاء الثلاثة ولعل وفاتهم تأخرت عن القرن الثاني عشر وكذلك لم نجد ترجمة حسين افندي مفتي آذنة في قاموس الاعلام .

(٨) لعله السيد عبد اللطيف بن فتح الله المعروف بالكيلاني الحنفي الحلبي نزيل القسطنطينية واحد المدرسين بها الذي ترجم له المرادي في السلك ج ٣ ص ١٣٢ توفي ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م .

(٩و١٠) لم يترجم لهما في السلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

علي باشا [١١] والشيخ محمد جار الله [١٢] والشيخ خليل الترياقي الضرير [١٣] في القسطنطينية .

عضو المجمع العلمي العربي

عبد الله مخلص

(١١) ترجم المرادي في السلك ج ٣ ص ١٤٤ للشيخ عبد الوهاب بن مصطفى بن ابراهيم بن محمد الحنفي الدمشقي المشتهر بتلميذ الشيخ عبد الغني النابلسي وذكر انه كان مقيماً في مدرسة علي باشا المعروف بالجورلي وفي الهامش جورليلي وهو الصواب وقال عنه انه توفي سنة ١١٨٩ هـ ١٧٧٥ م .

(١٢) لعله السيد محمد بن عبد الرحيم ابي اللطف المقدسي الذي ترجم له المرادي في السلك ج ٤ ص ٥٢ وص ٥٨ وفي الترجمتين لم يذكر تاريخ وفاته لانه لم يتحققه وابناء ابي اللطف ينتسبون الى جار الله ايضاً وهو لقبهم المعروف اليوم « راجع ما كتبناه عن ابي اللطف وابنائه في مجلة الزهراء بالقاهرة « م ٢ ص ٥٤٨ » .

(١٣) ليس له ترجمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net